فرفعوا حجارة ليرجموه

إن محاولة رجم السيد المسيح من قِبَل اليهود لم يذكرها أحد من الإنجيليين الأربعة سوى القديس يوحنا الحبيب الذي وضح أن تلك المحاولة حدثت مرتين. المرة الأولى ذكرت في (يوحنا ٨:٥٩) *"فرفعوا حجارة ليرجموه"* الإصحاح الذي بدأ بقصة المرأة الزانية التي كان اليهود متجهزين لرجمها، والمرة الثانية ذكرت في (يوحنا ١٠:٣١) *"فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه"*. ولعل كلمة "أيضاً" لم تذكر هنا بدون قصد ولكن للتأكيد على كونها المرة الثانية لهذه المحاولة. والعجيب في المحاولتين أنه سبقهما كلتيهما إتهام السيد المسيح بأن به شيطان: *"فأجاب اليهود وقالوا له ألسنا نقول حسناً إنك سامري وبك شيطان"* (يو٨:٤٨)، *"فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذي لماذا تستمعون له"* (يو١٠:٢٠).

لقد كان من ضمن أسباب عقوبة الرجم في الناموس أن يكون الإنسان به شيطان: *"وإذا كان في رجل أو إمرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة يرجمونه دمه عليه"* (لا٢٠:٢٧)، أو أن يكون قد جدف على اسم الرب: *"ومن جدف على اسم الرب فإنه يُقتل يرجمه كل الجماعة"* (لا٢٤:١٦). من هنا يتضح جلياً أن اليهود في المرتين اللتين أرادا أن يرجما السيد المسيح وجها له تهمة مزدوجة وهو أن به شيطان وأنه يجدف على الله.

والحقيقة أن كثيرين هم الذين يرفعون حجارة لكي يرجموا السيد المسيح اليوم. فهوذا العالم قد فقد كل تمييز حتى صار في عينيه النور ظلمة، وأصبحت كل ظلمة نوراً. ألا يرد العالم اليوم على تعاليم المسيح من جهة المحبة والتسامح والبذل والعفة قائلاً: *"هو يهذي لماذا تستمعون له؟"* (يو١٠:٢٠). ألا يعتبر الكثيرون الصليب جهالة والباب الضيق جنوناً؟ ألا يبيحون الشذوذ الجنسي والمخدرات تحت مسمى التنوع البيولوجي الطبيعي في الأمزجة؟ ألا يرون يسوع مجدفاً على آلهة ملذات وشهوات العالم التي يعبدونها؟ ألا يصبون جام غضبهم عليه فيعلنون بكل فخر إنضمامهم إلى زمرة الملحدين؟ ألا يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه؟ ألم

يتنبأ الأنبا أنطونيوس عنهم حين قال: *"يأتي وقت فيه يصاب البشر بالجنون، فإن رأوا إنسانًا غير مجنون، يهاجمونه، قائلين: أنت مجنون، إنك لست مثلنا"* ؟

لقد حان الوقت لكي يفحص كل منا ذاته من أي فئة هو: أمن فئة رافعي الحجارة على يسوع الذين يرون تعاليمه هذياناً وتجديفاً على آلهتهم؟ أم من فئة لباس المسيح الذين تُرفع عليهم الحجارة كل يوم إذ يُحسبون كمعلمهم أهلاً لكل إزدراء وإحتقار؟

لكن ليعلم رافعو الحجارة على يسوع أنه لابد وأن يختفي عنهم مجتازاً في وسطهم خارجاً من أيديهم دون أن يمسكوه، وأنهم سيجدون أنفسهم في النهاية وقد بقوا وحدهم وحجارتهم في أيديهم تشهد ضدهم إلى أبد الدهر أنهم أحبوا الظلمة أكثر من النور فأنتهم.